الفصل السادس

حاتم الطائى ..

الذى أضاع كرمُه.. شعرَه !

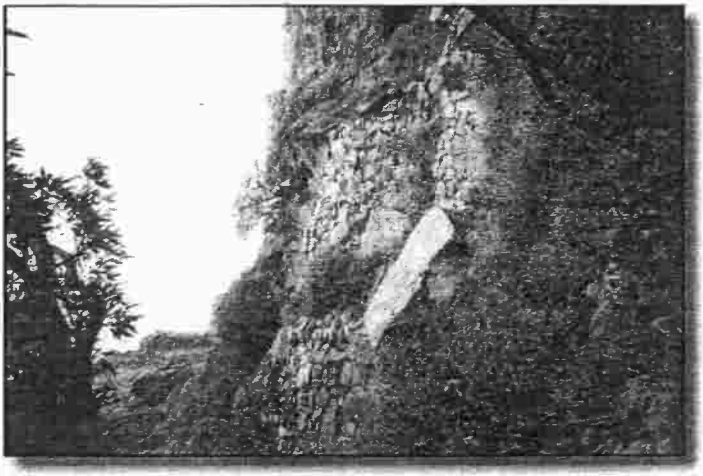

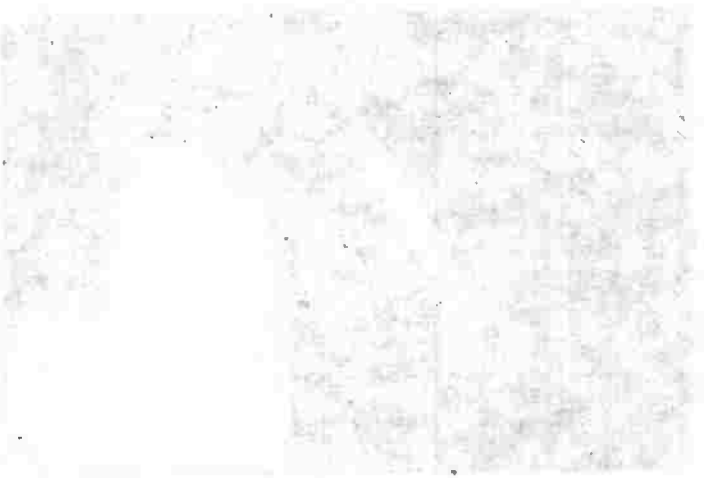

قال.. وعلى وجهه ابتسامة متعبة: بعد قليل نصل إليه..

كنا تركنا مدينة حائل خلفنا على طريق طويل يتلوى بشكل ثعباني أحيانا.. وكانت خلفية المشهد ملأى بالجبال الشاهقة التى أشار إليها لاحقاً:

كل هذه الجبال.. هى سلسلة جبل أجا..

وبعد قليل أشار إلى جبل أسود ضخم فى مواجهتنا وهو يقول بما يشبه الاعتزاز:

هذا هو الجبل الأسمر.. وكانوا يسمونه الجودى ويعتقدون أن سفينة نوح رست عليه.. قلت ربما يتشابه الاسم ولكن يقولون: إن الجودى الذى رست عليه السفينة هو جبل أرارات الواقع فى أقصى شمال العراق وأقصى جنوب تركيا..!

قال: كيف تأكدوا من هذا..

قلت: وكيف تأكدتم هنا..

فرد ساهماً: كلها أقاويل..

بعد قليل من الوقت – الذى يعادل هنا مسافة ٤٥ كيلو مترا – «نزلت» السيارة «الجيمس» القوية من الطريق الممهد إلى حيث تتناثر بعض البيوت الأسمنتية فى مدخل أحد الوديان الواسعة وقال قائدها: هذه توران الحديثة.

قلت.. وأين توران صاحبة الأثر

قال أيضا: بعد قليل..

وتوقف أمام أحد البيوت من أجل «دليلنا» الحقيقى ونادى: يا خال.. يا خال.. ثم عاد وهو مكتئب قليلا «الشيبه مُوْ بالدار».. لكنه حل المشكلة حين عرج على إحدى خيام البدو المجاورة لبعض البيوت الأسمنتية ونادى: يا سُميّر..

فخرج إلينا شاب نحيف: تفضلوا.. نتقهوى

لكننا كنا متعجلين تماما.

بدأنا الطريق «الفعلى».. حيث بدأت الحياة العصرية تنسحب من عيوننا، والجبال الرواسى تقترب أحيانا وتبتعد مرات.. والسيارة صاعدة هابطة على طريق «الرمل الناعم والحصى الغليظة» بينما تتحاضن فى الأفق أشجار النخيل والأثْل مكونة ظلالاً خضراءَ لسواد الجبال العالية..

طال الوقت.. وكنت أتعجله..

قلت لقائد السيارة: متى نكون فى «ضيافته»..؟!

قال باعتزاز: بعد قليل..

وكانت «خطوات» السيارة تقترب من «الطريق» إليه..

كانت عيناى تغوصان فى الرمل البعيد والجبال القريبة والمتناهية، وفى انفراجة بين جبلين بدت صحراء النفود الهائلة من بعيد.. بدا «وجهها» فقط، بينما انهمك سالم وسُميّر فى حديث ودود عن أحوال الأهلين.. فيما هبطتُ إلى دهاليز المخيلة.. كانت الأرض هنا ملأى بالخيام.. أو بالبيوت الطينية البسيطة.. فالمكان ملىء بالنخيل والأثل والكلأ.. وهو مشهور بكثرة عيونه وكانت القبائل لا تترك المكان المثمر بل تقيم فيه إلى الأبد مثلما حدث مع قبيلة طيئ التى تستوطن هنا منذ أيام ما يسمى بالجاهلية وحتى الساعة «سكان المكان الآن أقوام شمّر وهى قبيلة متفرعة من أحد بطون طيئ»..

كان سالم: شمّريا، وسُمَير أيضا.. وحتى التسمية الحديثة للمكان هى جبلا شمّر وهما المعنيان: أجا وسلمى منذ التاريخ القديم.. قلت لنفسى.. جغرافية المكان فقط هى التى اكتسبت صفة الخلود..

وقلت.. ها أنذا أخيراً فى الطريق إليه

شبح ابتسامة يطيف بفمى.. حين تذكرت صديقاً لى و «..لنا» من أصدقاء الزمن الجميل» كان شـاعراً أيضا.. وكنيناه – من باب السخرية – بالطائى، حيث كان مجرد «خروج» عملة صغيرة من جيبه بمثابة حدث مضىٰ فى تاريخه «المعتم»..

لكن هذا «الطائى» العصرى عاد مرة أخرى إلى مستقره من الذاكرة، لأعود بكُليتى إلى هذه الصحراء الجبلية المحيطة..

وفى الطريق إليه.. بدأ شـتيت من الذاكرة يتجمع.. حين «رضعنا» الفخر بأننا العـرب أهل الكرم.. وكان هو الدليل «الدامغ» على هذه الأريحية، وكانت الدلائل على ذلك كثيرة..

– منها أنه لم يجد شيئا ليقرى ضيفه فذبح حصانه – أو ناقته – .. فقلت فى نفسى.. ومن يفعل ذلك فى زماننا هذا لضيوفه؟! .. و .. مَنْ يذبح لنا اليوم حصانه فى هذا القفر البهى؟!

– ومنها ما شاع عن أنه كان يصنع الطعام – أو تصنعه له النساء – ولا يجلس إليه إلا إذا كان معه جليس..

– ومنهـا أنه لم يكـن يرضى بالرضاعة وحده، وهو ما شـاع فى بعض الأقوال والروايـات المحلية المتناقلة عبر الأجيال من أنـه كان لحاتم أخ أغنى منه، وكان كريما يعطى أكثر من حاتم فأتى أمه يوما وقال لها: مَنْ أكرم، أنا أو حاتم؟ فقالت الأم: بل حاتم، فقال: أنا أعطى أكثر منه، وقد فعلت كذا وكذا وهو مالم يفعله.. فبأى شـىء هو أكرم منى؟ قالت الأم: كان حاتم وهو رضيع لا يرضع ثديى إلا إذا أتيت بطفل يراضعه الثدى الآخر، بينما أنت كنت ترضع ثدياً وتمسك بالآخر..

.. وغير ذلك الكثير..

ولكن السؤال المؤرق أحيانا كان يقول:

لماذا يحتفى الإنسان بالكرم..؟

هل لأنه صفة «نادرة» من صفات بنى البشر..؟

ثـم.. هل كل مـا حدث من ذلك الرجـل كان حقيقيـاً.. أو أن المبالغات التى تكتسـبها القصص الواقعية أحياناً وهى تنتقل من جيل لآخر هى السبب وراء تلك الهالة السرمدية التى تحيط برأسه الغامض..

أو أن ذلـك كان حقيقـاً وما وصلت وقائعه إلينا ليـس إلا أخباراً قليلة لما كان يصنع..؟!

هل يصل الإنسـان مثلاً إلى حدّ أن يُقْرى ضيفه بحصانه، وهو الحيوان الأحب والأقرب للنفس فى ذلك الزمان وعنوان الفروسية..؟!

أو هل يصل هذا الحد إلى درجة أن يفضل الرجل ضيفه على نفسه وأهله وولده.. حتى فى أقسى الظروف المادية والمكانية..؟!

المسألة هكذا تتسع..

ولكـن الكثير مما قرأت كان يشـير إليه ويؤكد أنه مـن أفعاله قبل أن يكون من صفاته..

إذن.. لا مجال للشك أو للتأويل

وإذن نحن هذه المرة.. فى ضيافة الرجل.. أو حاتم الطائى..

حاتم الذى مازلنا نضرب به المثل، أو نشبّه به كل ذى سخاء.

حاتم الذى ذهب ماله وبقيت أفعاله..

هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج وجده امرؤ القيس بن عدى بن أخزم «وهو ليس الشـاعر المشـهور»، وأمه غنية بنت عفيف بن عمر التى يُعزّى اكتساب حاتم لصفة الكرم منها، إذ كانت من أسـخىٰ الناس فاتهمها إخوتها بالإسراف ومنعوها مالها حتى تمسك عن الإسراف، فأتتها امرأة ذات فاقة فأعطتها غنية كل ما تُرك لها من مال لتقتات به..

أما نسـبه فينتهى إلى قبيلة طئ.. أشهر قبائل العرب قاطبة والتى يقول عنها ابن حبيب فى «المحبر» وابن حزم فى «الجمهرة»: إنها إحدى جماجم العرب، وكانت من أقوى القبائل العربية، فيما يذهب الدكتور جواد على فى «المفصل» إلى

أن العرب عرفوا عند الفرس وعند بنى آرم بتسمية هى (TAYAYO) و (TAIY)، أما علماء التلمود من العبرانيين فأطلقوا عليهم لفظة «ط ئ ع ا»، أو طيعا. وطيابا طيايـة، وأصـل الكلمتين واحد علـى ما يظهر وأخذ من لفظة طَيئ اسـم القبيلة العربية الشـهيرة على رأى أكثر العلماء، وطيّـئ هو «جُلْهُمة» بن أُدَد بن زيد بن يشجب وعند الهمذانى زيد بن عمر – بن عريب – وفى الأغانى ابن مالك – بن زيد بن كهلان بن سـبأ بن يشـجب بن يعرب بن قحطان بن عابر – وهو هود النبى عليه السلام.

وتذهب معظم المصادر إلى أن طيئاً سُمّى بطيئ لأنه أول من طوى المنازل أو المناهل أى جاز منهلاً إلى منهل آخر ولم ينزل.

وذهب البطليوسى إلى أنه إنما اشتق طيئ من طاء يطؤ إذا ذهب وجاء والطاءة: بُعـدُ الذهاب فى الأرض وفى المرعى، وربما فى هذا الاشـتقاق علاقة بهجرة طيئ من مسـاكنهم الأولى باليمن إلى شمال الجزيرة بالجبلين إذ يقرر البكرى فى «معجم ما اسـتعجم» أنه بـين الجوف – منازل طئ باليمن وبـين الجبلين حيث هاجروا واستقروا – مسيرة شهر..

والجبلان هما أجا وسـلمى ويقعان فى منطقة حائل وقد ظلت منازل طيئ بهذا الموضع لا تتغير منذ الجاهلية وحتى الآن.

وذكر الزمخشـرى أن «أجا وسلمى جبلان عن يسار سميراء (الجبل الأسمر) وقد رأيتهما شـاهقين»، ويقـول الدكتور جواد على: إن فى نجـد – وهى هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم – منطقة جبلية تتكون من الجرانيت، يقال لها جبل شمّر وهو موضع من مواضع طيئ التى اشتهر أمرها قبل الإسلام اشتهاراً كبيراً وقد عرفت قديما بجبلى طيئ وتتألف من سلسلتين يقال لأحدهما أجا وللأخرى سلمى.

ولتحديـد موضع حـاتم الطائى، ذهبنا وراء ياقوت فى معجم البلدان، فى ذكره لقرى أرض طيئ، والتى ذكر منها سـبعا وعشـرين قرية، منها توران وقال عنها: «قرية من أجا لبنى شمّر من بنى زهير وبها قبر حاتم الطائى..».

هى توران إذن..

كنت فى الطريق الذى بدأته غداة وصولى إلى حائل، كان دليلى سالم سلامة الرفاع الشمّرى من أهل «الديرة» وكانت نوعية سيارته القوية هى الوحيدة التى تستطيع اجتياز وعورة الطريق، خاصة بعد وصولنا لمنطقة القرية الجديدة توران والتى تقع على الطريق المسفلت الحديث، أما القرية المقصودة «فتدخل» فى الوديان مسافة لا تقل عن عشرين كيلو مترا تمر فيها السيارة على طريق «والتسمية هنا اعتبارية» رملى «ثقيل» مخترقة ودياناً متعددة فيما نحن محاطون بسلسلة جبال أجا، ذكر منها ياقوت ستة وسبعين جبلا، وعلى رغم «رملية» المكان و «جبليته» إلا إننى لاحظت وجود نخيل كثير أحيانا، وأحيانا أخرى زروعاً مختلفة ومواضع للماء، وصدَّقتُ ياقوت فى ذكره أن للطائيين فى بلادهم هذه اثنتين وخمسين ماءة «أو عين ماء».

إذن كان حاتم يعيش فى مكان وارف كثير الخيرات، وهو ما ساعده على «القيام» بكرمه وإقراء ضيوفه، حيث أكدت كل المصادر القديمة على أن وديان بلاد طئ مثمرة وخضراء وذات عيون منذ استوطنوها، أى منذ أيام الجاهلية، ولازالت على حالها، وإن طالتها بعض التغيرات الأركيولوجية..

فى طريقنا أشار سُميّر عبد الله الشمرى الذى «يحفظ» المكان – عن ظهر قلب – لسالم أن يتوقف بجوار أحد المنازل الرعوية البسيطة لينادى على أحد الناس، فجاء عبادة نزّال الشمرى وهو ابن المنطقة الأقرب لآثار حاتم ويعرف الكثير فصاحَبَنا الرجل، وأصبح هو قائد السيارة – بالتوجيه والإشارة..!!

عند وادٍ فسيح لم يعرف أىٌ من مرافقىّ اسمه قلت لعله الأيهم، أو أكبرة، أو بولان أو شطنان، أو بكر، أو الأجيران، أو ذو الجليل، أو الكشقر أو السبعان «وهى الأودية التى ذكرها ياقوت الحموى».. لا يهم.. الأهم أننا الآن فى المكان الذى يتفق القدماء من النسابين، وأهل المنطقة حاليا على أنه موضع قصر حاتم الطائى، وموضع قبره..

حين تجول بصرى فى المكان وجدته «محصناً» بالجبال، أما الوادى الذى نقف

عليه – أو فيه – فتربته طيبة، وذات زرع ومياه، قلت لأحد مرافقيّ.. وما يدرينا أن هذا المكان لحاتم نفسه، فردوا بما يشبه «العزف الجماعى»: كيف.. كلنا يعلم ذلك، فقبيلتنا شمّر هى أحد فروع طيئ ولم ينتقل أحد من المكان، من الممكن أن يكون البعض قد ذهب إلى المدينة «يقصدون حائل» أو إلى القرى المجاورة أو حتى المواضع البعيدة، لكنهم حتماً يرجعون.. دائماً يرجعون لأنهم يتركون هنا منازل لهم وأراض ونخيل يحرصون على متابعتها..

قلت لكن القصر مبنى من الطوب اللّين.. رد أحدهم بأن جعلنى أدور حول الموقع ويشير إلى أسفل الجدار حيث كانت تظهر الصخور الضخمة المتراصة من بين «الطلاء» الطينى قائلاً:

– هذا هو أساس القصر، وأما ما كان يتهدم منه فإن أهل القرية كانوا يرفعونه بالطوب اللين، وكان المكان مستخدماً إلى وقت قريب، ربما تم تركه منذ عشر سنوات أو أكثر، حينما طُلب منا أن نترك القرية إلى موقعها الجديد فى الخارج «يقصد بجوار الطريق المسفلتة الحديثة» حيث الخدمات التى وفرتها الحكومة، وعلى رغم ذلك فمازال للبعض هنا نخيل ومراع للإبل والأغنام «رأيت بالفعل بعض الإبل المارّة بجوار أحد الجدران المتهدمة» فى وادٍ يسبق وادى حاتم الطائى..

قلت.. ولكن القبر.. أين القبر..؟

«ذهبنا إليه وكان أهل القرية قد ابتنوا حول المقبرة سوراً كبيراً» قالوا ها هو ذا، وكانت الشواهد لا تزيد عن حجر «عريض» مغروس إلى موضعين تحدّدا بحجارة صغيرة، أشار سُميّر إلى أحدهما قائلا: هذا قبر زوجته فريدة، وهذا قبره، قلت أعلم من كتب التاريخ أن حاتماً قد دُفن هنا، لكنى لم أعلم بخبر زوجته والتى لم تذكر المصادر حتى اسمها فقال نحن نعرف ذلك «أبّاً عن جد» وأضاف أن أهل طيئ يحفظون – جيلاً بعد آخر ويحفظون أجيالهم – كل ما يخصهم من تاريخ حتى لو «وصل» ذلك للعصر الجاهلى.. قلت ولكن التحديد يدل على طول غير عادى قال: «كانوا كذلك»، فى اللحظة التى دخل فيها سالم وعبادة «وكانا يطاردان

ثعبانا ظهر لهما فجأة فى الخارج» واشترك عبادة – وهو الأقرب مكانياً من الجميع – فى الحوار وقال: إن هذا قبر حاتم «وأشار إلى نفس الموضع الذى أشار إليه سميَر» أما هـذا «يعنـى القبر الآخر» فهو لأمه واسمها غنيـة.. واختلف الاثنان فيما قمت بتصويـر القبرين «الطويلين» وأنا أنظر بين اللحظة والأخرى حوالىً لأن المكان مليئ بثقوب كبيرة لا يمكن أن تكون إلا «مواطن» للثعابين..

فى الخارج تلمست بعض الجدران.. شممت فيها رائحة العصر الحديث – الذى يعنـى هنـا أقدمية لا تقل عن مائتى عام – لكن «جذور» الجدران، أو بداياتها من أسـفل كانت مبنية بالفعل من الجرانيت القوى «المتوفر» على بعد خطوات من أى جبل قريب، وهو الجرانيت الذى أثبت تصديه لعوامل التعرية الزمنية الطويلة فى أماكن عديدة من العالم..

قلت لنفسـى.. إذن هنا كان حاتم.. وهنا كان يُقرى الضيف ويسهر على راحته ويقول:

لقد كنت أطوى البطنَ والزاد يُشْتَهى مخـافـةَ يومـاً أن يُقـال لئيـمُ

وعبثاً تخيلت الرجل، لكن الشـكل العام يمكن «تصنيعه» فى المخيلة بعيداً عن الاعتمـاد على «خرافة» طولـه المبالغ فيها، فإن فوارس العرب القدماء كانوا يعنون بمظهرهـم وبخيولهم، ولا غرو فى ذلك فـإن لقب الفارس كان صعباً و «مكلفاً» فى الجهد والدم، بالإضافة إلى أنه شـاعر فحل، والشـعراء فى كل العصور يحسـنون الهيئة – حتى فى حال فقرهم – فما بالنا وهذا أحد سادة قومه وأكثرهم مالاً أفناه فى البذل.. البذل الذى ذهبَ بشـهرته فى الآفـاق.. والأزمنة، وتناقلت حكاياته الأجيال..!

فممـا قيل: إن الخليفة المأمون جلس يومـا – وكان قد أعطى «من المنح» مئات الآلاف مـن الدنانير – وقيـل مليون دينار – فقال وعلى وجهه ابتسـامة عريضة لجلسائه: مَنْ أكرم أنا أو حاتم؟!

فقال بعض مَنْ فى المجلس: أين حاتم من عطائك يا أمير المؤمنين، إن ما أعطيته اليوم فقط لم يره حاتم فى كل حياته، فضلاً عن أن يكون قد مَلَكه أو أنفقه.

فُسرَّ المأمون بذلك لكن رجلاً من الجلساء قال:

لا يا أمير المؤمنين، أعزّك الله، أنت كريم ولكن حاتماً أكرم منك.

فقال المأمون: كيف؟!

قال الرجل: حاتم كان يعطى كثيراً من قليل وأنت تعطى كثيراً من كثير، وحاتم كان يعطى لمستحق وأنت تعطى لغير مستحق، وحاتم كان يعطى من حُرًّ ماله وأنت تعطى من بيت مال المسلمين، فهو أكرم منك.

فقال المأمون: صدقت.

.. .. كان حاتم يقول الشعر فى يسر وعذوبة، لكن شعره «ضاع» فى صفة كرمه ولم يُعتدّ به بين أصحاب المعلقات، خاصة وأنه جاهلى عاش فى القرن السابق على البعثة، ولم يدرك الإسلام، ولكن قيل فيه شعر كثير، ومن ذلك ما قاله العريان بن سهلة النبهانى أحد شعراء الجاهليين الذين نسبوا لأمهاتهم:

إنى إلى حاتم رحلتُ ولمْ ... يُدْعَ إلى العُرف مثلهُ أحدُ
الواعدُ الوعدَ والوفىُّ به ... إذْ لا يفى مَعْشَرٌ بما وعدوا

ومما كان معروفاً عن حاتم أنه كان يُشعل ناراً على رأس أحد الجبال «قيل إنه جبل سميراء» ولكنه يقع بجوار حائل أى ما يزيد عن أربعين كيلو مترا من الطريق الحديث فقط، وليس من هنا بين الأودية والشعاب ولم يكن منطقياً أن يشعل حاتم هذه النار العظيمة كل ليلة ليراها المسافرون ذوو الحاجة، فيسير بهم خدمه إلى موضع داره «هنا» ليصلوا بعد يوم أو اثنين على الأقل، ولكن المنطق يقول: إنه تخيّر إحدى القمم القريبة والمشرفة على الوادى، بحثت بعينى حتى وجدت بقايا أطلال على رأس جبل عال، فقال أهل الديرة المرافقين لى إنها بقايا مسجد، قلت ولم ابتنوه هناك بينما كان من الممكن أن يبتنوه على الأرض حتى لا يكون هناك عناء للمصلين، فقال: سمعنا الحكاية هكذا..

وأعتقد جازماً أن مثل هذا المكان هو الأقرب إلى الظن بكونه «موقد» نار حاتم طيئ حيث يقترب من داره - أو دياره - بشكل حاسم، وهو ما يميل إليه أى منطق صحيح.

كان الهدوء يغلف المكان.. هدوء لا تقطعه حتى أصوات الريح ولا ثغاء الماعز ولا سقسقة العصافير.. هدوء كان يبتلع المكان إلا من أصوات أقدامنا وهى تدق

علــى الحصبــاء ولكن المكان – حتماً – لم يكن كذلك فى القديم.. كان ثمة صخب يومى من حركة القبيلة أو «تحركات» أحداثها.. وكان الصراع دائماً بين الجميع.. بــين القبائل أو بــين الأفراد.. كانت الحروب كثيرة، منها ما هو مع عبس البعيدة – بعــض الشــىء – ، ومنها ما هو مع محارب، وضبة وبكــر بن وائل وهى قبائل شرسة.. لم يكن يرضيها إلا سفك الدماء والاستلاب اليومى.

وفى علاقة طئ ببكر بن وائل، قال أبو عبيدة «أغار حاتم طيئ بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طيئ وقتل منهم، وأســر جماعة منهم، وكان فى الأسرى حاتم الطائى فبقى موثقاً عند رجل من عنيزة فأتته امرأة منهم – اسمها غالية – بناقة فقالت: أفصدْ هذه.. فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت، فقال حاتم هكذا فزدى «فصدى»، فصاحت النســاء وشتمنه فرد عليهن «ما أنتن يا نساء بكرام ولا ذوات أحلام» فذهب قوله مَثَلاً.. ثم قال:

كذلك فصدى إن سُئلتُ مطيتــى   دم الجوف إذْ كل الفصادِ وخيــمُ

ويعنــى الفصاد هنا أن بعض العرب كانوا يشــرّطون أحد أوردة البعير للحصول على كمية من دمه يعالجونها بالنار ويأكلونها إذا اشتهوا اللحم.

ولم يكن حاتم يفعل ذلك.. حتى وإن كان أسيراً مأموراً..

وإنى أستحى مـن الأرض أن أرى   النابَ تمشى فــى عُشُبَاتها الغَبْر

وهكـــذا كان يبـذل مالـه..!

وذاع صيتــه فى أرض العرب والعجم حتى وصل إلى أسماع ماوية بنت عفزر من أميرات العرب وكانت ذات جمال وحســب ومال، وذكر ابن الزبير حديث جماعة مــن طيــئ قال: إن ماوية نذرت نذراً لا يخطبها كريم إلا تزوجته ولا يخطبها لئيم إلا جدعتــه، فتنادرهــا الناس فقدِم عليها من الجبلــين – جبلى طيئ – أوس بن حارثــة بن لأم الجديلى، وزيد الخيل النبهانــى، وحاتم الطائى، فأخذ كل منهم يذكر من فعاله ما جرأه على خطبتها، وفى هذا الشأن أوس بن حارثة يقول:

أماوىُّ لم يخطبك مـن حبـى مَذْحِـجٍ   كأوسٍ بـن لأم أو كزيـــدٍ وحاتــم

لكن ماوية وجدت ســبباً يمنعها عنَ الموافقة لكل من تقدم لخطبتها من ســادات

العـرب، هؤلاء، وغيرهم، إلا حـاتم الطائى فإنها وجدته أكمـل أهل زمانه خلقاً وأخلاقاً فرضيت به زوجا لها، لكنها اشـترطت عليه أن يطلق زوجته فأبى حاتم ذلـك فافترقا، ثم توفيت زوجة حاتم، فعاود خطبـة ماوية فوافقت فتزوجا، على رغـم ما قيـل لها من أن حاتم متلاف للمـال، فاختارته وضمّـت مالها إلى ماله، وأنجبت له سُـفَانة وعدى، وعلى رغم ذلك فإنها – أى ماوية – لم تستوعب هذا الكرم الحاتمى العريض فحاولت صده ومنعه فقال:

وعاذلـــةٍ هَبَّت بليـلٍ تلومنـــي   وقـد غـاب عيّوقُ الثريـا فعـــرّدا

تلـوم علـىّ إعطائـىَ المـالَ ضِلـةً   إذا ضـنّ بالمـالِ البخيـلُ وصَـرّدا

ومضى فى كرمه «الحاتمىّ» حتى دراهمه الأخيرة..

.. فى هذا الموضع.. وذلك المكان ذى الهندســة المعمارية البسـيطة والبعيدة عن الجماليات الاسـتثنائية جرت أحداث ذلك الكـرم «التاريخى».. الكرم الذى ألقى بصاحبه بعيداً عن سـجل الشـعراء، واكتفى بتخليده فى سرمدية المكان الواقع فى منطقة التباين الملحوظ بين خضرة الخصب الخلابة وبين الصخور الجرانيتية العالية التـى تطل عليها من جميع الجهات، وربما كان ارتفـاع هذه الصخور ألف قدم، وهى تنحدر عموديا إلى سطح الوديان الرملىّ بحيث تذكّر الناظر إليها بوادى الماس حيـث تعيش الحيات، وحيث رمى التجار اللحم لطيور الرّخ من أجل جمع الماس فى قصة «السندباد البحرى»..!!

فى الساعة الرابعة عشرة أقفلنا عائدين، مارين ببعض العيون المائية القديمة التى ذكر لنا الشـيخ محمد بادى العضيباوى أنها كانت صالحة للشـرب أيضا، وأنهم كانوا يدركون عذوبة المياه من الحشرات التى تسبح فيه وبها يميزون طيبة المياه، إذ لا شىء فى الصحراء أكثر ريبة من الماء كامل الصفاء الخالى من الحياة الحيوانية.

وبين الحين والآخر.. كانت الهجن تمر أمامنا بانسياب مطمئن وهى تنظر إلينا أحيانا بعيون أقرب إلى عيون الغزلان وبرشاقة عفوية مميزة، وكانت الرمال البيضاء – المليئة بملح البارود أو نترات البوتاسـا – تمتد أمامنا لعدة كيلو مترات ثم تغيب تحت الصخور الملقاة على الأرض أو تلك المناطحة لذرى السحاب.

بقايا قصر حاتم الطائي ومقبرته.

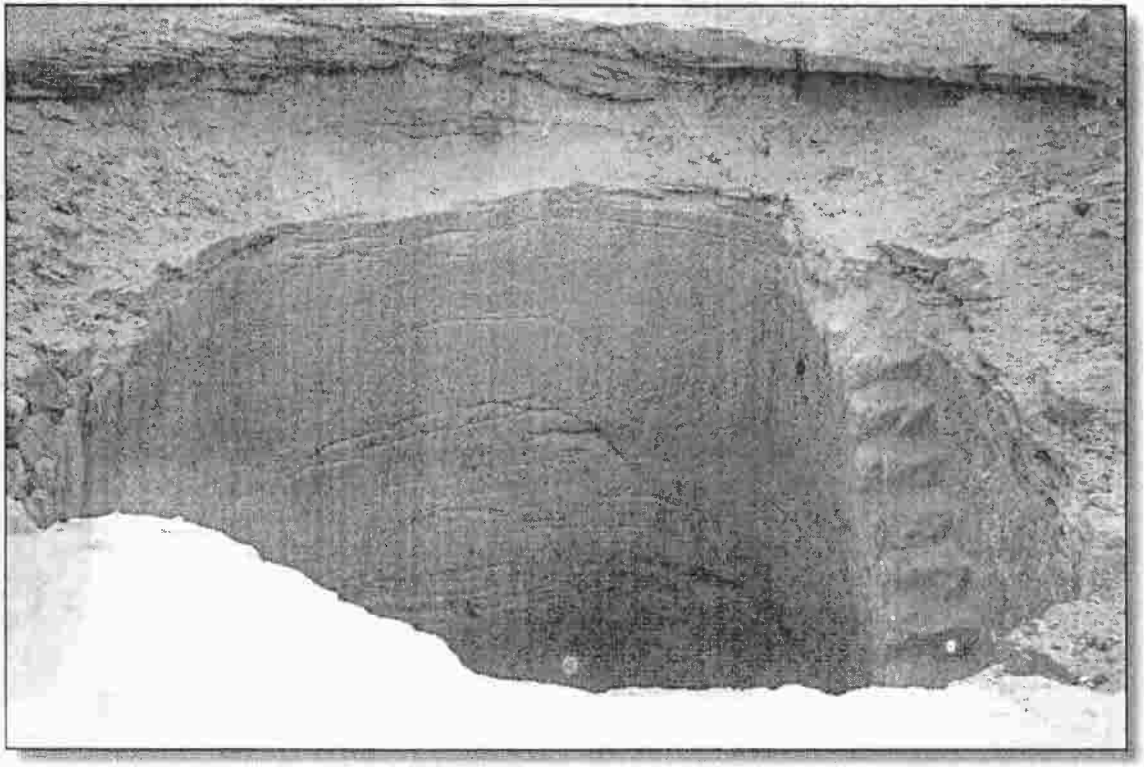

من آبار الجزيرة العربية القديمة بين جبلىّ شمر ويقال إن حاتم الطائى حفرها.

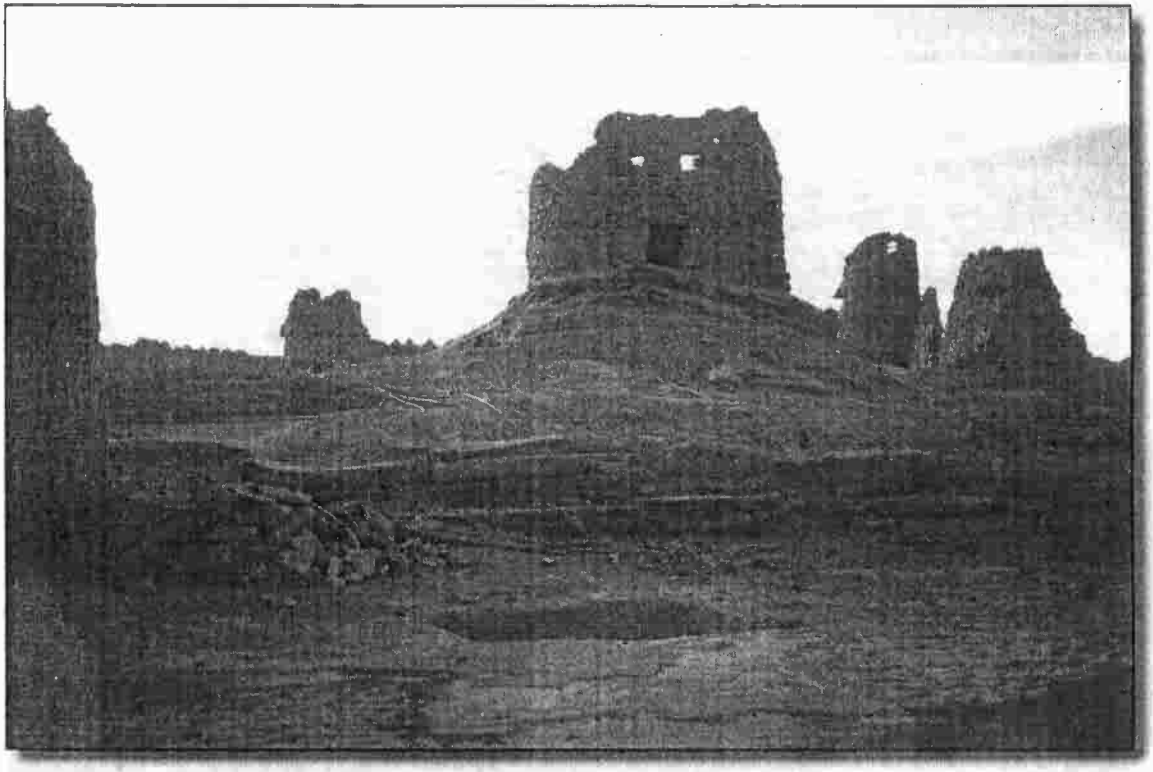

أبنية قديمة أعلى الوادى المشرف على منطقة حاتم الطائى.

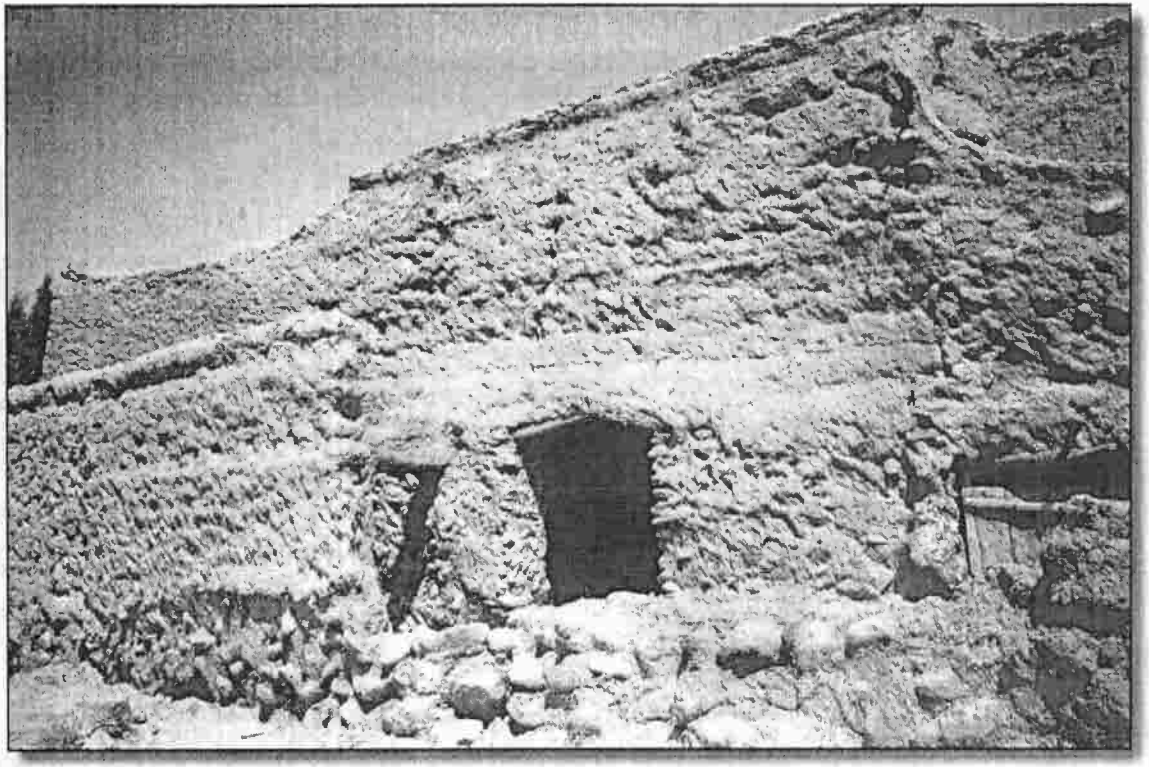

بقايا «قصر» حاتم الطائى.

بقايا ما يقال إنه قصر حاتم الطائي.

للكاتب:

- قراءات فى الشعر المعاصر «ملامح نقدية».
  (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥).
  (مكتبة الأسرة ١٩٩٨).
- انتقالات الصدى «شعر».
  الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.
- قمر لنافذة الظلام «شعر».
  مكتبة الأسرة ٢٠٠٤.

تحت الطبع:

- هذا.. حصاد الأسئلة «شعر».
- آثار أقلام على الرمال..!
  «دراسة فى كاتبات القصة السعوديات».
- هارون الرشيد.
  بين الحقيقة والأسطورة «دراسة».